مهاجر الى ربي اي من ارضي وعشيرتي على وجه الهجر لهم فمتنقل ومتحاز
اي الى ارض ليس فيها انيس ولا عشير ولا من ترجي نصرته ولا تنفع مودته
فهاجر من كوثي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض المقدسة فكانت
له هجرتان ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وهو اول من هاجر في الله
وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة قال مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس
وسبعين سنة فان قيل لم يقل مهاجر الى حيث امر ربي مع ان المهاجرة الى
الرب توهم الجهة اجيب بان هذا القول ليس في الاخلاص كقوله الى ربي
لان الملك اذا صدر منه امر برواح الاجناد ثم ان واحدا منهم سار الى
ذلك الموضع لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره الملك ولكن لا مخلصا
لوجهه فلذا قال مهاجر الى ربي يعني توجهي الى الجهة المامور بالهجرة
اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله ثم علل ذلك بما يسليه عن فراق
اخيه واهل وده من ذوي رحمه وانسابه بقوله انه هو اي وحده
العزيز اي فهو جدير باعزاز من انقطع اليه الحكيم فهو اذا اعزاء احدا
منعته في حكمته من التعرض له باذلال بفعل او مقال ولما كان التقدير
فاعززناه كما ظن بنا عطف عليه قوله ووهبنا له اي بعظيم قدرتنا
شكرا على هجرته اسحاق من زوجته سارة رضي الله تعالى عنها التي
جمعت الى العقم في شبابها الياس في كبرها ويعقوب من ولده
اسحاق عليهما السلام فان قيل لم لم يذكر اسمعيل عليه السلام وذكر
اسحق وعقبه اجيب بان هذه السورة لما كان السياق فيها للامتحان
وكان ابراهيم عليه السلام قد ابتلي في اسماعيل بفراقه مع امه ووضعهما
في مضيعة من الارض لا انيس بها لم يذكره تصريحا في سياق الامتنان
وافرد اسحق لانه لم يبتل فيه بشي من ذلك ولان الامتنان به لكون امه
عجوزا عقيما اكبر واعظم لانها اعجب وذكر اسمعيل تلويحا في قوله
تعالى وجعلنا اي بعزتنا وحكمتنا في ذريته من ولد من ولد اسحق
واسمعيل عليهما السلام النبوة فلم يكن بعده نبي اجنبي عنه بل جميع
الانبيا من ذرية اسحق الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية
اسماعيل قال بعض العلما فان قيل ان الله جعل في ذريته النبوة
اجابة لدعائه والوالد يسوي بين اولاده فكيف صارت النبوة في ولد
اسحق اكثر اجيب بان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم
الى يوم القيمة قسمين والناس اجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله
فيه انبيا فيهم فضايل جمة وجاوا تترا واحدا بعد واحد ومجتمعين في
عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم في القسم الثاني من
الزمان اخرج من ذرية ولده اسماعيل عليه السلام واحدا اجتمع فيه

ماكان فيهم

ماكان فيهم وارسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله
خاتم النبيين وقد دام الخلق على دين اولاده اسحق اكثر من اربعة الاف سنة
ولا يبعد ان تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك المقدار والكتاب فلم
ينزل كتاب الا على اولاده فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التوراة
والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه افرده ليدل مع ثنا وله الجنسية
الكتب الاربعة لانه لا شي يستحق ان يكتب الا ما انزل فيها او كان راجعا
اليها ولو جمع لم يفد هذا المعنى واتيناه اجره على هجرته اجره بما
خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد العيش
وكثرة الولد والخدم في الشيخوخة وكثرة النسل والثنا الحسن
والمحبة من جميع الخلق وغير ذلك قال الرازي وفي الاية لطيفة
وهي ان الله تعالى بدل جميع احوال ابراهيم عليه السلام في الدنيا
باضدادها لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فريدا فبدله
الله تعالى وحدته بالكثرة حتى ملا الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه
واقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم ازر بدل الله تعالى اقاربه
باقارب مهتدين هادين من ذريته الذين جعل فيهم النبوة والكتاب
وكان اولا لا جاه له ولا له مال وهما غاية اللذة الدنيا واتاه الله من
المال والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه
كان له اثني عشر الف كلب حارس باطواق الذهب واما الجاه فصار
بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على ساير الانبيا الى يوم القيمة فصار
معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا حتى قال قايلهم سمعنا فتى يذكرهم
يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا لمجهول الناس في الدنيا وانه في الاخرة
اي التي هي الدار ومحل الاستقرار لمن الصالحين اي الذين خصصناهم
بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة مثل ادم ونوح وفي اعراب قوله
تعالى ولوطا ما تقدم في اعراب نصب ابراهيم اذ اي حين قال لقومه
اهل سدوم الذين سكن فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا قومه
حين فارق عمه ابراهيم الخليل عليه السلام منكرا ما راى من حالهم وقبح
فعالهم موكدا له انكم لتاتون الفاحشة وهي ادبار الرجال
المجاوزة للحد في القبح فكانها لذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة
استينافا بقوله ما سبقكم بها او هي حال مبينة لعظيم جراتهم على المنكر
اي غير مسبوقين به واعرق في النفي بقوله من احد وزاد بقوله من
العالمين اي كلهم من الانس والجن اي فضلا عن خصوص الناس
ثم كرر الانكار تاكيد التجاوز قبحها الذي ينكرونه بقوله ابنكم
لتاتون الرجال اتيان الشهوة وعطف عليها ما ضموه اليها من المناكر

Copyright King Saud University